

* ثالثاً — دور العقل في تمحيص الأفكار والموروثات *

— عندما يتشبع المسلم بالعقيدة الصحيحة الصافية فإنه يستطيع أن يمحّص الأفكار التي يعرضها غير المسلمين أو من تأثروا بهم وفي موروثات الآباء والأجداد فيعرف ما يتوافق مع دينه فيقبله، وما يتصادم معه فيرفضه ويتجنبه.

— تصدى القرآن الكريم للأفكار المخالفة للعقل بالحقائق العلمية.
— العقل يحذر صاحبه المتشبع بالعقيدة الصحيحة من الجمود والتقليد الأعمى والخرافة والجهل.

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ مِنْ رَبِّكَ فَهُمْ أَعْلَمُ مَنْ أَفْقَرُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: 15]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَرُ عَلَيْنَا آيَاتُ اللَّهِ أَنْزَلَهَا أَتْلُوهَا بَلْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ [البقرة: 170]

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّذِينَ هُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس: 66]

— ناقش القرآن الكريم المنحرفين القائلين بوجود الكون صدفة بدون خالق، وأطلق على هؤلاء المنكرين لوجود الله -تعالى- اسم: (الدهرية).

وفيه قال الله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِيهَا إِلَّا الظُّلُمُوتُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الحاقة: 24].

— هؤلاء الدهرية المنكرون للآلوهية هم أقرب الكافرين من الملاحدة المعاصرين.

— الحقائق العلمية الموجودة في هذا الكون تردّ على الذين ينكرون وجود الله -تعالى-.

من أمثلة هذه الحقائق:

— ينزل المطر من السماء على الأرض، فيخرج منها أقوات وثمرات، مختلفة الألوان والطعوم والروائح، يعيش الإنسان عليها، وتخرج من الأرض أيضاً أعشاب وحشائش متنوعة تعيش عليها سائر الحيوانات.

هل الطبيعة هي التي جعلت الماء واحداً والأرض واحدة والنباتات مختلفة الألوان والطعوم والروائح، أم أنّ هذه الأشياء أوجدت نفسها بنفسها؟!

* أولاً — أهمية العقل في القرآن الكريم *

— لقد أولى القرآن الكريم العقل أهمية كبيرة، وأعطاه منزلة عالية، وكرّم الإنسان به.

فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنْ الْمُلْكِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]

وترجع أهمية العقل في القرآن إلى:

أ. أنّ العقل منشأ الفكر، وأداة الإدراك والفهم، وبه تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات.

ب. قدرة العقل على إدراك الأحكام، والاجتهاد والتجديد، ووصل الدين بالواقع، وضمان مبدأ الاستمرارية في الإسلام.

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 269]

ج. العقل مناط التكليف، فالتكليف خطاب الله، ولا يتلقّى ذلك الخطاب إلا من يعقل. بخلاف نحو: (المجنون والصبي).

— أمر القرآن بالتدبّر للوصول إلى المعرفة الصحيحة والإيمان المبني على العلم.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24]

* ثانياً — حث القرآن الكريم على استعمال العقل *

— الدّعوة إلى التدبّر والتفكّر والنظر في كلّ ما يحيط بالإنسان، لإثبات الحق وإبطال الباطل.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَاسْتِحْلَافِ الْبِلَدِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 164]

﴿ فِي الْبَحْرِ يَمَسُجُفُ أَنْفَاسُ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْجَاهُ مِنْ الْأَرْضِ بِعَدِّ مَوْتٍ وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 164]

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِفُونَ ﴾ [العنكبوت: 43]

— الحثّ على الاجتهاد والاستنباط.

— تطهير الإنسان من برائث الجاهلية.

— مجيء الأحكام معلّلة ليقوم العقل بالقياس عليها.

* رابعاً — حدود استعمال العقل *

- ❖ الأحكام والفوائد ❖

- أَنَّ علماء الحديث قد وضعوا شروطاً مشددة لغلبة الأحاديث، ومن الكتب ما كان همُّها الجمعُ فقط، ومثلها كتب السيرة، فلم يُتشدَّد فيها.